ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب الحجة إليه

الأستاذ عبد العال سالم مكرم
أستاذ بجامعة الكويت

شارك الاستاذ عبد العال سالم مكرم بدراسة حول « كتاب الحجة فى قراءات الائمة السبعة فى مسابقة المكتب الدائم حول اللغة وقد نسب هذا الكتاب الى ابن خالويه وقدم لتحقيق المخطوط ببحث لاثبات هذه النسبة ، ونحن ننشر هذه المقدمة مع نقد لها للاستاذ محمد العابد الفاسي :

ابن خالويه شخصية لم تظفر بالدراسة الواسعة بعد ، لانه فى مجال القراءات ، والنحو واللغة لا تقل عن هؤلاء الاعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كابى علي الفارسي ، وابن جنى وغيرهما .

ولعى بهذه الترجمة الموجزة انير الطريق امام الباحثين ليتجهوا الى تراث هذا الرجل المطبوع والمخطوط ، ليقوموا فى ضوئه دراسات وبحوثا ، تظهر مكانة الرجل فى عصره ، ومكانة تراثه بين تراثنا الخالد .

نسبه :

سجلت كتب الطبقات ان اسمه : الحسين بن احمد ان خالويه بن حمدان : وكنيته : عبد الله (1).

نشاته :

ذكر ياقوت انه نشا فى همدان ، ثم وفد الى بغداد بعد ذلك ، ويشاركه فى هذا الراي السيوطي فى البغية (2) وقد سجل الرواة فى سنة اربع عشرة وثلاثمائة دخل بغداد ليتلقى عن شيوخها ، ويأخذ من اعلامها .

هذا ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ، وان تعرضت لسنة وفاته ، فقد اجتمعت على انه توفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (3) .

شيوخه :

من شيوخه الذين كان لهم اثر كبير فى تكوينه العلمي والثقافي :

1 ـ ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد على القرآن الكريم والقراءات .

وهو : احمد بن موسى بن العباس التميمي ، كان يلقب فى عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخرا انه اول من سبع السبعة ، وكان اليه المرجع فى فن القراءات (4) .

---

1) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
2) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .
3) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 220 ، غاية النهاية 1 / 237 .
4) غاية النهاية 1 / 142 .

2 ـ ابـن دريـد :

وهو ابو ابكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، تلقى عليه ابن خالويه النحو والادب . وكان ابن دريد شاعرا كثير الشعر ، ومن شعره المقصورة المشهورة، والقصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصـــور والممدود (1) ولما مات هو وابو هاشم الجبائي في يوم واحد ، ودفنا في مقبرة الخيزران ، قال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بابن دريد كل منفعـــــة
لما غدا ثالث الاحجار والترب (2)

وكنت ابكي لفقد الجـود آونـة
فصرت ابكي لفقد الجود والادب

3 ـ ابن الانباري :

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن بشـــار الانباري النحوي ، كان من اعلم الناس وافضلهـــم في نحـــو الكوفيين ، واكثرهم حفظا للغة .

وكان ابن الانباري ـ كما يذكر الرواة ـ مهتمـا بالدراسة القرآنية فقد ذكروا انه كان يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم (3) .

وقال عنه : محمد بن جعفر التميمي : « اما ابو بكر بن الانباري فما راينا احفظ منه ، ولا اغزر منه من علمـــه . (4)

ويحكى ابن الانباري عن نفسه فيقول : انه كان ياخذ الرطب ويشمه ويقول : « اما انك طيب ولكـن اطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم » (5) .

4 ـ ابو عمر الزاهـــد :

هو ابو عمر: محمد بن عبد الواحد بن ابي‌هاشم اللغوي الزاهد كان من اكابر اهل اللغة ، واحفظهم لها ، اخذ عن ابى العباس ثعلب ، وكان يعرف بغلام ثعلب .

وقال عنه ابو القاسم عبـد الواحـد بن برهـان الاسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الاولين والاخرين احسن من كلام « ابى عمر الزاهد » .

وقال فيه ابو العباس الشكري يمدحه :

ابو عمر اوتى من العلم مرتقـــى
يزل مساميه ويـردى مطاولـــه

فلو انني اقسمت ما كنت كاذبـا
بأن لم ير الراؤون خيرا يعادلـه

الى ان يقـــــول :
اذا قلت شارفنا اواخـر علمـــه
تفجر حتى قلت هذى اوائله (6)

5 ـ ابو سعيد السيرافي :

هو ابو سعيد الحسن بن عبـد الله بن المرزبـان السيرافي النحوي كان من المع نجوم عصره فسعى اليه ابن خالويه ، وجلس في حلقته ، وتاثر به تاثـرا كبيرا ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنتعرض له فيما بعد ،ذلك لان ابا سعيد كان كما يقول المرحوم الاستاذ احمد امين : « زعيم المحافظين في عصره (7) » حيث يرى ان اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس والعقـــل .

وبهذا المنهج استطاع السيرافي ان يهزم (متى) المنطقي في مناظرة مشهورة جعلت الوزير ابن الفرات ـ وكان مشاهدا لها ـ يقول في السيرافي « عين الله عليك ايها الشيخ ، فقد نديت اكبادا واقررت عيونا ، وبيضت وجوها ، وحكت طرازا لا يبليه الزمـان ، ولا يتطرق اليه الحدثان (8) » .

---

1) نزهـــة الالبـــا ـ 174 .
2) نزهـــة الالبـــا ـ 175 .
3) نزهـــة الالبـــا ـ 179 .
4) نزهـــة الالبـــا ـ 181 .
5) نزهـــة الالبـــا ـ 181 .
6) نزهـــة الالبـــا ـ 189 .
7) ظهـــر الاســـلام ـ 2 ـ 91 .
8) الامتاع والمؤانسة : 1 ـ 128 ، 129 .

وبعـــــد

فاذا كان التلميذ صنعة استاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه فى تكوين شخصيته ، وتربية عقله وسمو تفكيره ـ كبيرا لانه جلس فى حلقات هؤلاء الاعلام الذين ملأوا الدنيا بآثارهم الفكرية وانتاجهم الادبي الذي خلد ذكرهم ، وعطر فى التاريخ سيرتهم .

رحـــلاتـــــــه :

ذكر « انباه الرواة » انه دخل اليمن ، ونـــزل ديارها ، وهي رواية النحجي اليمنـــي فى كتابـــه « الاترجة » حين تعرضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصته :

« ومن المشاهد على ذلك ان الحسين بن خالويه الامام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، واقام بها شرح ديوان ابن الحائك وعنى به ، وذكر غريبه واعرابه »

قال صاحب الانباه :

ولم اعلم ان ابن خالويه دخل اليمن الا من كتاب « الاترجة (1) » هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن فى الجاهلية والاسلام الى قريب من زماننا هذا ، وما رايت منه نسخة ، ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت فى كتاب الوالد احضرت بعد وفاته من ارض اليمن (2) .

على اية حال كانت ، ان صحت هذه الرواية فمن المؤكد ان رحلته هذه الى اليمن كانت قبل رحلته الى حلب حيث سكنها ، وعاش فى كنف سيف الدولة بها ، وهناك انتشر علمه (3) .

ويزيد « الانباه » انه تصدر ايضا بميا فارقين ، وحمص للافادة والتصنيف (4) .

واخيرا استقر به المقام فى « حلب » حيث وافاه الاجل المحتوم فى سنة سبعين وثلاثمائة .

حياتـــه الاجتماعيـــــة :

فيما يبدو ان ابن خالويه كانت معيشته ضنكا من الرزق فهو ، وان صحب سيف الدولة فى حلب ، ثـم صحب ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان بعد وفاة سيف الدولة فهذا لم يعطه الاستقرار الاقتصادي فى الحياة رغم ذلك ، فقد كان يجري وراء المال ليستر العوز ، ويبعد الفاقة يـدل على ذلـك قولـه لسيـف الدولة حينما سأل جماعة فى مجلسه :

هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصـــورا ؟

فقالوا : لا .

فقال ابن خالويه : انا اعرف اسمين لا اقولهما الا بالف درهم لئلا يؤخذا بلا شكر (5) .

ويدل على ذلك قوله ايضا قوله :

وكم قائل قالى رايتك راجـــــلا
فقلت له من اجل انـك فـــارس

وقولـــه :

الجود طبعي ، ولكن ليس لي حـال
فكيف يبذل من بالقـرض يحتـــال

فهاك حظي فخذه اليوم تذكـــرة
الى اتساعي فلي فى الغيب آمال (6)

معاصـــــروه :

ابو علي الفارسي :

فى عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرتـــه ، ومكانته فى النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن ابن عبد الغفار ابن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من اكابر ائمة النحو ، وشغل الناس بآرائه فى القياس والعلة ، والمنطـق والجـدل حتى فضله كثير من النحويين على ابى العباس المبرد .

---

1) الاترج : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم فاكهة معروفة ، الواحدة : اترجة .
2) الانبـــاه 1 ـ 326 .
3) البغيـــة 1 ـ 529 .
4) الانبـــاه 1 ـ 325 .
5) البغيـــة 1 ـ 503 .
6) البغيـــة 1 ـ 530 .

وقال فيه ابو طالب العبدي : ما كان بين سيبويه وابى علي افضل منه (1) .

وهذه المنزلة التي وصل اليها ابو علي فى النحو جعلت عضد الدولة يقول : انا غلام ابى علي فى النحو(2)

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وابى علي الفارسي على اشدها . فقد كتب ابو علي كتابه « الاغفال » وذكر فيه ما اغفله شيخه ابو اسحق الزجاج فى كتابه « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد الذي وجهه ابو علي الى استاذه الزجاج فى «الاغفال» لم يرض ابن خالويه فتعقبه فيما كتب . وعقب على تعقيبه ابو علي فى كتاب سماه «نقض الهاذور» وبسط الكلام فيه كل البسط وقد اورد البغدادي فى خزانته طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين ابى علي وابن خالويه ، اذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه : ان الواو اذا كانت فى اوائل القصائد نحو : وقاتم الاعماق ... الخ . فانها تدل على رب فقط ، ولا تكون للعطف ، لانه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو .

وقال الفارسي فى نقض الهاذور : هذا شيء لم نعلم احدا ممن حكينا قوله ذهب اليه ولا قال به (3) » .

وقال ابن الانباري فى نزهة الالبا : « انه اجتمع هو وابو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لابى علي : نتكلم فى كتاب سيبويه فقال له ابو علي : بل نتكلم فى الفصيح .

ويحكى انه قال لابى علي كم للسيف اسما ؟ قال: اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل اسماء كثيرة ، واخذ يعددها نحو الحسام ـ والمخدم ، والقضيب . . فقال ابو علي : هذه كلها صفات (4) .

ولم تكن منافسة ابن خالويه لابى علي الا صدى لمنافسة استاذه ابى سعيد السيرافي لابى علي الفارسي ، فقد كان ابو علي ـ كما يقول ابو حيان التوحيدي ـ « متقدما بالغيظ على ابى سعيد وبالحسد له، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من اوله الى آخره بغريبه وامثاله ، وشواهده وابياته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لان هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج، ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم، وفيض كلامهم (5)) .

ولمنزلة ابى سعيد السيرافي فى نفس تلميذه ابن خالويه ارسل الى سيف الدولة ليعلمه تطاول الفارسي على السيرافي ، وهو تطاول غير محمود ، لان منزلة السيرافي وبخاصة بعد هزيمة (متى) المنطقي نسجت حوله ثوبا من القدسية والمهابة ، فلا يليق بابى علي او غيره ان ينال هذه الشخصية التي اعلت لغة العرب وذللت مصاعب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرقعة فارسل الى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه التهمة ، ويزيل اللبس ومن العبارات التي ضمنها رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل ـ (يعني بذلك ابن خالويه) فيما يقوله : هو قوله : لو يبقى عمر نوح ما يصلح ان يقرا على السيرافي مع علمه بان ابن بهراذ السيرافي يقرا عليه الصبيان ومعلموهم ، افلا اصلح ان اقرا على من يقرا عليه الصبيان ؟ هذا ما لا خفاء فيه ، كيف وقد خلط فيما حكاه عني ؟

واني قلت : ان السيرافي قد قرا على ـ ولم اقل هذا ، انما قلت تعلم مني ، او اخذ عني هو او غيره ممن ينظر اليوم فى شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : تعلم مني مثل قرا على ، لانه يقرا عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرا عليه وتعلم ابن بهراذ السيرافي مني فى ايام محمد بن السري وبعده لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الوراق.

ومحمد بن احمد بن يونس ، ومن كان يطلب هذا الشان من بني الازرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني فى (صف شوينز) كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لانه كان جارى بيت بيت قبل ان يموت الحسن بن جعفر اخوه ، فينتقل الى داره التي ورثها عنه فى درب الزعفراني (6) » .

---

1) نزهة الالبا 208 .
2) معجم الادباء 7 ـ 234 .
3) خزانة الادب 1 ـ 39 .
4) نزهة الالبا ـ 208 .
5) الامتاع والمؤانسة ـ 131 .
6) المسائل الحلبية لابى علي الفارسي ، ورقة 114 ، مخطوط رقم 266 نحو تيمور .

واني حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ليكون مثالا واضحا يدل على مدى التنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ليظفر كل منهما بقلب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية اخرى .

2 ـ المتنبي :

لم يكن ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفي شاعرا يملأ الدنيا باشعاره وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغويا نحويا متضلعا يدل على ذلك ان ابا الطيب « اجتمع هو وابو علي الفارسي ، فقال له ابو علي : كم جاء من الجمع على وزن فعلى ؟ بكسر الفاء ، فقال المتنبي : حجلى وظربى جمع حجل وظربان . قال ابو علي: فسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثا فلم اجد احدا وقال في حقه : ما رايت رجلا في معناه مثله (1) » .

اتصل المتنبي بسيف الدولة يمدحه ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى انه لما انشد سيف الدولة بين حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه

كان هناك ابن خالويه . فقال له : يا ابا الطيب : انما يقال : شجاه ، توهمه فعلا ماضيا ، فقال ابو الطيب : اسكت فما وصل الامر اليك (2) .

وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبي ، لان معنى المتنبي كاذب ، ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل ، فقال : لست ارضى ان ادعى بذلك ، وانما يدعوني به من يريد الغض مني ، وليست اقدر على المنع (3) .

وذكر الرئيس ابو الحسن محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب : « المفاوضة » : حدثني ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الببغاء قال : « واذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقها بسكين الدواة ، فمد ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفا ازرق ، فحثا فيه سيف الدولة شيئا صالحا ، ومددت ذيل دراعتي وكانت ديباجا ، فحثا الى فيها ، وابو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا، او يطلب شيئا منها فمافعل فغاظه ذلك، فنثرها كلها، فلما راى المتنبي انها قد فاته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة . فداسوه وركبوه، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحى ومضت له ليلة عظيمة وانصرف .

وخاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتعاظم تلك العظمة ، ويتصنع الى مثل هذه المنزلة الا لحماقته (4) .

3 ـ ابن جني :

ابو الفتح عثمان بن جني النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفي ابن جني سنة 392 هـ على حين توفي ابن خالويه 370 هـ (5) ، وقد تتلمذ ابن جني على ابن علي الفارسي ، وصحبه اربعين سنة وكان سبب صحبته اياه ان ابا علي الفارسي سافر الى (الموصل) فدخل الى الجامع ، فوجد ابا الفتح عثمان بن جني يقرا النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الفا نحو قام ـ وقال : فاعترض عليه ابو علي فوجده مقصرا ، فقال له ابو علي : زببت قبل ان تحصوم ، ثم قام ابو علي ولم يعرفه ابن جني ، وسال عنه ، فقيل له : هو ابو علي الفارسي النحوي فاخذ في طلبه وصاحبه الى ان مات ابو علي ، وخلفه ابن جني ودرس النحو ببغداد بعده ، واخذ عنه (6) .

والذي يعنيني من هذه المعاصرة ان ابن جني تتلمذ على ابي علي الفارسي وان ابن خالويه تتلمذ على ابي سعيد السيرافي ، والشيخان راسان في عصرهما، عاشا في مجال النحو واللغة يبدعان ما شاء لهما الابداع ولكنهما افترقا في المنهج والطريقة ، وقد

---

1) نزهة الالبا ـ 201 .
2) نزهة الالبا ـ 201 .
3) نزهة الالبا ـ 200 .
4) انباه الرواة ـ 1 ـ 327 .
5) نزهة الالبا ـ 222 .
6) نزهة الالبا ـ 221 .

اثرت هذه التفرقة في نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج .

فالفارسي وتلميذه يكثران من المنطق والعلة ، وابو سعيد وتلميذه لا يحفلان باقيسة المنطق ولا يعيران التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وانما يحفلان بالرواية والاثر ، والسماع ، وما نقل عن العرب يدل على ذلك قول بعض الادباء في رؤس النحو الثلاثة الفارسي ، والرماني ، والسيرافي : « كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فاما من لا نفهم من كلامه شيئا ، فابو الحسن الرماني ، واما من نفهم بعض كلامه دون البعض ، فابو علي الفارسي ، واما من نفهم جميع كلامه فابو سعيد السيرافي (1) » .

هذا وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد في كل المجالس العلمية والادبية التي تعقد فيه مناظرات عديدة بين الفارسي وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمتنبي من ناحية اخرى .

وكان ابن جني يشهد هذه المجالس ، وتوثقت صلته بالمتنبي حتى قال فيه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وهذا التقدير الادبي من جانب المتنبي جعل ابن جني يشرح ديوانه شرحا كما يقول المرحوم الاستاذ احمد امين : « استفاد منه كل من شرح الديوان بعده لاتصاله بالمتنبي ومعرفته بظروف شعره التي كثيرا ما تحدد المعنى ، وتمنع التاويلات (2) » .

وكما توثقت الصلة بين ابن جني العالم النحوي وبين المتنبي الشاعر كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه العالم النحوي وبين الشاعر ابي فراس الحمداني الذى كان الراوية الوحيد لشعره وديوانه وقد صور هذه المنافسة المرحوم احمد امين حيث قال ما نصه : « فكان في القصر ـ يقصد قصر سيف الدولة ـ حزبان ، حزب للمتنبي منه ابن جنى النحوي وحزب عليه منه ابن خالويه اللغوي وابو فراس الشاعر (3) » .

مكانته اللغوية والنحوية :

ابن خالويه كانت له قدم راسخة في الدراسات اللغوية ، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا وابن دريد له في اللغة كتاب « الجمهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ، ورجالات الادب منذ تاليفه ، فابو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد اعطى بها ثلاثمائة مثقال فابى ، فاشتدت به الحاجة فباعها باربعين مثقالا وكتب عليها هذه الابيات:

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سابيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم املك سوى سفح عبرتي
مقالة مكوى الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
كرائم رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها ، وارسل معها اربعين دينارا اخرى (4) .

وابن خالويه كان روايةلهذه الجمهرة، وقد كتب عليها حواشي من استداركه على مواضع منها ، ونبه على بعض اوهام وتصحيفات (5) .

ولمكانة ابن خالويه اللغوية رد على ابن دريد ، ونقده في مسائل عديدة من جمهرته .

فمثلا يقول السيوطي : ليس في الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات الا أول .

قال في الجمهرة : هو فوعل ليس له فعل ، والاصل : وول قلبت الواو الاولى همزة ، وادغمت احدى الواوين في الاخرى ، فقالوا : اول .

---

1) نزهة الالبا ـ 211 .
2) ظهر الاسلام ـ 1 ـ 186 .
3) ظهر الاسلام ـ 1 ـ 186 .
4) المزهر 1 ـ 95 .
5) المزهر 1 ـ 95 .

وقال ابن خالويه : الصواب : ان اول : افعل بدليل صحبة من اياه ، تقول اول من كذا (1) » .

ومما يدل على اتساعه في حفظ اللغة رده على ابن دريد حينما قال في جمهرته : لم يجيء في الكلام فعل فعلا الا حرفان : حنق حنقا ، وضرط ضرطا .

قال ابن خالويه : وحكى الفراء : حلف حلفا ، وحبق حبقا ، وسرق سرقا ، ورضع رضعا (2) .

ولابن خالويه حس مرهف في ادراك اسرار اللغة وتذوقه لها :

قال السيوطي : لم يات اسم المفعول من افعل على فاعل الا في حرف واحد ، وهو قول العرب اسمت الماشية من المرعى ، فهي سائمة ، ولم يقولوا مسامة .

قال تعالى : « فيه تسيمون(3) »من اسام يسيم . قال ابن خالويه : احسب المراد اسمتها انا فسامت هي فهي سائمة ، كما تقول : ادخلته الدار فدخل ، فهو داخل (4) .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ له : قال في كتاب ليس : قالت لسيف الدولة بن حمدان : قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم اسبق اليها وذلك ان النحويين زعموا انه ليس في الكلام مثل رحيم وراحم ، ورحمان الا نديم ونادم ، وندمان ، وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك: حميد ، وحامد وحمدان (5) .

ويؤمن بلغة الاعراب ، يستشهد بها في مواطن الاستشهاد قال في شرح الدريدية :

كل اسم على فعيل ثانية حرف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين نحو : بعير شعير ، رغيف ـ رحيم اخبرنا ابن دريد عن ابي حاتم عن الاصمعي ان شيخا من الاعراب سال الناس ، فقال : ارحموا شيخا ضعيفا (6) .

والامثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفي بما ذكرت منها حبا في الايجاز .

والسؤال الذي يقال هنا ان لابن خالويه آثارا لغوية تشهد بفضله وتشير الى قدره، وهي آثار لاتنكر لانها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه في النحو كاللغة ؟ في رايي ان ابن الانباري ظلم ابن خالويه حينما قال عنه في مجال النحو : « ولم يكن في النحو بذاك (7) » .

لان ابن خالويه له آراء في النحو لا تقل عن آرائه في اللغة كما يبدو ذلك عند دراستنا لكتاب الحجة .

ولعل السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو انه كان يؤمن بان اللغة تؤخذ سماعا ، لا قياسا ، والتاليف النحوي كما جرت به عادة النحاة ـ يدور حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ومن اجل ذلك لم يؤلف كتبا عديدة في النحو او في اصوله كما فعل الفارسي وتلميذه ابن جني ، اللهم الا كتاب : الجمل في النحو ، وكتاب : اعراب ثلاثين سورة وكتاب المبتدا في النحو ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا وقد سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : كان اماما احد افراد الدهر في كل قسم من اقسام العلم والادب ، وكان اليه الرحلة من الآفاق ، وكان آل حمدان يكرمونه (8) .

عقيدته :

يذكر سالم الكرفوكي وهو مستشرق ، حقق كتاب « اعراب ثلاثين سورة » ان ابن ابي طي : قال عنه كان اماميا عالما بالمذهب على حين يرى الذهبي في تاريخه انه كان صاحب سنه ، وابن حجر يؤيد تشيعه

---

1) المزهر 1 ـ 60 .
2) المزهر 2 ـ 75 .
3) النحل : 10 .
4) المزهر 2 ـ 88 .
5) المزهر 2 ـ 90 .
6) المزهر 2 ـ 90 .
7) نزهة الالبا 208 .
8) انباه الرواة 1 ـ 326 .

ويقول : كان صاحب سنة . في الظاهر فقط ليتقرب الى سيف الدولة الحمداني .

وفي راي سالم الكرفوكي انه امامي لانه الف كتاب « الامامة » ومن هذا الكتاب تظهر روح تشيعه واضحة جلية ، ذلك لانه ذكر في كتابه اشياء لا يقولها اهل السنة .

وفي رايي ان ابن خالويه لو كان اماميا لاشتهر امره ، وفضحه اعداؤه ومنافسوه في وقت كانت تعد فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بانه اماميي لهجاه ، واظهر عواره لسيف الدولة السني ، ليبعده من بلاطه، ويطرده من بلاده ، ولو كان ابن خالويه اماميا لما سكت عنه ابو علي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها الى سيف الدولة مدافعا عن التهم التي كان يوجهها اليه ابن خالويه .

ولو كان ابن خالويه اماميا لما تعبد على المذهب الشافعي ، لان الشافعي سني ؛ وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية .

وليس تاليفه لكتاب الامامية يجعله اماميا ، فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتاليف في مجالات مختلفة . ومن ثم الف كتابه ليدل على انه ملم باحداث عصره وبتاريخ مجتمعه .

انتاجه العلمي :

السيوطي في « البغية » ينص على ان من تصانيفه الجمل في النحو ـ الاشتقاق ـ القراءات ـ اعراب ثلاثين سورة ـ شرح الدريدية ـ المقصور والممدود ـ الالفات ـ المذكر والمؤنث ـ كتاب ليس ـ كتاب اشتقاق خالويه ـ البديع في القراءات(1)

ويزيد كتاب الانباه على البغية ما ياتي :

كتاب الاسد ـ تقفية ما اختلف لفظه ، واتفق معناه لليزيدي ـ المبتدأ في النحو ـ تذكرته ، وهو مجموع ملكته بخطه (2) .

ومعجم الادباء يزيد على ما ذكر :

كتاب الآل : ذكر في اوله ان الآل ينقسم الى خمسة وعشرين قسما ، وذكر فيه الائمة الاثنى عشر ومواليدهم ووفياتهم ، وغير ذلك (3) .

وغاية النهاية يزيد ما ياتي :

حواشي البديع في القراءات ـ كتاب مجدول من القراءات الفه لعضد الدولة (4) .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه ازيد على هؤلاء الرواة ما ياتي :

1 ـ كتاب الريح : وهو مخطوط يتكون من ثلاث ورقات مخطوط رقم 525 هـ ـ دار الكتب اوله : قال الشيخ ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله ، وصحبه اجمعين ، وبعد فان الريح اسم مؤنثة ... الخ .

2 ـ كتاب اسماء الله الحسنى :

فقد نص في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » ان له كتابا في اسماء الله الحسنى، وقد قال في ذلك ما نصه:

« وقد صنفتها في كتاب مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (5) » .

3 ـ رسالة في قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات الى آخره .

وقد اشار الى هذه الرسالة الشيخ محي الدين يحيى النووي في كتابه « تصحيح التنبيه » في الفقه على مذهب الامام الشافعي للشيخ ابي اسحاق الشيرازي .

وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد من السموات ، يجوز ملء بالنصب والرفع ، والنصب

---

1) البغية 1 ـ 530 .
2) الانباه 1 ـ 325 .
3) معجم الادباء 9 ـ 204 .
4) غاية النهاية 1 ـ 237 .
5) اعراب ثلاثين سورة 14 .

اشهر ، وممن حكاها ابن خالويه ، وصنف فى المسالة (1) .

4 ـ شرح ديوان ابن الحائك حيث عنى بغريبه واعرابه (2) .

5 ـ كتاب مختصر فى شواذ القراءات من كتاب « البديع » .

عنى بنشره المستشرق ج برجستراسر وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر 1934 .

6 ـ كتاب الشجر : وينفي نسبه الكتاب اليه المستشرق ج برجستراسر فيقول : « ليس مصنفه بل الحقيقة ، مصنف اللغوي ابى زيد صاحب كتاب « النوادر فى اللغة (3) » .

7 ـ العشرات فى اللغات : اي اللغات التي لها عشر معانى .

وهو مخطوط بمكتبه جيد موقر بطهران ، ونسخ سنة 760 هـ (4) .

8 ـ كتاب الهاذور الذى رد فيه على ابي على الفارسي حينما الف كتاب «الافغال» ليرد على شيخه ابى اسحاق الزجاج (5) .

9 ـ شرح ديوان ابى فراس الحمداني .

وقد جاء فى مقدمة شرحه ما نصه :

قال ابو عبد الله الحسين بن محمد بن احمد بن خالويه ، من حل من الشرف السامي ، والفضل والكرم الذائع ، والادب البارع والشجاعة المشهورة ، والسماحة المأثورة ابو فراس الحرث بن سعيد بن حمدون بن الحارث العدوي . كان سيف الدولة ... مثقفه ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبة ، يلقى الى شعره دون الناس ، ويخطر على بشره حتى سبقتني واياه الركبان ، فحملت منه ما القاه الى وشرحته بما أرجو ان يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد (6) .

وليس لابن خالويه عمل فى هذا الديوان غير روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقصائد التي احتواها الديوان .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر الديوان وتحقيقه فى جزئين 1944 م وطبع فى بيروت.

10 ـ كتاب شرح فصيح ثعلب نقل عنه السيوطي فى المزهر (7) وبعد .

فان هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه ، من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، ومكانته السامية فى عصره ، وفيما بعد عصره الى يومنا هذا .

ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته فى حقل النحو واللغة.

كتاب الحجة

توثيقه ـ منهجه

توثيقه :

كانمن مراجعي فى اعدادي لرسالة الدكتوراه «القرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية» (8) كتاب الحجة لابن خالويه ، قرأته، فراعني فيه اسلوبه الجزل ، وعبارته المختارة ، وعرضه للقراءات فى ضوء النحو واللغة عرضا جذابا ، لا يبعد القارىء عنه ، ولا يجعل الملل يتسرب الى نفسه ، يعطيك النتيجة فى صراحة ووضوح من غير ان يجهد نفسك ، او يتعب عقلك ، من غير استطراد ، ينسيك موضوع الحديث كما فعل الفارسي فى حجته .

---

1) التنبيه فى الفقه على مذهب الامام الشافعي ـ 15 .
2) انظر ص 5 من الكراسة .
3) مقدمة مختصر شواذ القراءات ـ 6 .
4) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج 2 ص 13 .
5) خزانة الادب 1 ـ 352 .
6) شرح ديوان ابى فراس الحمداني .
7) المزهر : 1 ـ 213 ، وغيرها .
8) نشر دار المعارف بالقاهرة 1968 م .

لهذا صمم عزمي على ان احقق هذا الكتاب بعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لما فيه من النفع الكبير والخير العميم .

وهانذا احقق رغبتي في تحقيقه ، وافي بالدين الذي حملته على عاتقي منذ ان عشت في هذا الكتاب اثناء دراستي للدكتوراه واقتضى منهج التحقيق ان اوثق هذا الكتاب لاتاكد من نسبته الى ابن خالويه ، لان هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد في كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحجة ، وان ذكرت ان له كتبا في القراءات حملت اسماء مختلفة ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ، وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت ان اصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد ، وبايمان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة ، واليك الدليل :

1 ـ تلمذة ابن خالويه لاستاذه ابن مجاهد فرضت عليه ان يحيا في الدراسة القرآنية، ويتمكن منها ، ويلم بالقراءات ويدافع عنها ؛ وابن مجاهد ـ كما قدمت سابقا ـ اول من سبع السبعة وكان اليه المرجع في فن القراءات كما يقول ابن الجزري (1) ، وابن مجاهد حينما سبع السبعة ، والف كتابه القراءات السبع شرحه ابو علي الفارسي وسمى بالحجة ثم اختصرها ابو محمد مكي بن طالب المصري المتوفى 437 هـ ثم اختصر هذا الشرح ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ (2) .

فاذا كان ابو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح ايضا تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه وقدم لنا انتاجا ضخما تحدثت عنه فيما سبق .

ومن اهم الفروع التي كانت تشغل اذهان العلماء اذ ذاك علم القراءات والاحتجاج بها في مجال اللغة والنحو .

وقد اسهم في هذا الاحتجاج بالتاليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351هـ حيث الف كتاب السبعة بعللها الكبير (3) .

وابو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفى 362 هـ حيث الف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة لعللها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر (4) .

هذا فضلا عن تاليف ابي علي للحجة كما قدمت، وابن جني للمحتسب في القراءات الشاذة .

ومن اجل ذلك الف ابن خالويه كتابه الحجة في القراءات السبع ليدلي بدلوه بين الدلاء ، ويسهم في هذا العلم الذي شغل اذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتبا في القراءات : كتاب البديع ـ كتاب مختصر شواذ القراءات ـ كتاب مجدول في القراءات الفه لعضد الدولة كما نص على ذلك ابن الاثير في غاية النهاية (5)

وقد اشار ابن خالويه الى ان له كتابا في القراءات فيقول في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى « انعمت عليهم (6) » .

« اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا قلت : عليهما قال الله عز وجل « يخافون انعم الله عليهما (7) الا يعقوب الحضرمي ، فانه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات (8) » .

---

1) غاية النهاية 1 ـ 142 .
2) كشف الظنون م 2 نمر 1448 .
3) الفهرست 433 .
4) الفهرست 33 .
5) غاية النهاية 1 ـ 237 .
6) الفاتحة 7 .
7) المائدة 33 .
8) اعراب ثلاثين سورة 32 .

وفي كتابه الحجة تجد هذا التعليل الذي اشار اليه (1) والسؤال الذي يقال هنا لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ؟ ولم لم تذكر في كتب الرواة على حين ذكروا ان له كتبا في القراءات ؟

1 ـ اقول قد يرجع ذلك الى ان الكتاب في القراءات فاستغنوا بذكرها عن كلمة « الحجة » مع ان تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو دائما في كل مسالة يكرر هذه العبارة، والحجة لمن قرا الخ.

2 ـ وما لي اذهب بعيدا . وقد قدمت في انتاجه العلمي ان لابن خالويه كتبا عديدة لم ترد في كتب الطبقات التي بين أيدينا . ككتاب معجم الادباء والانباه والبغية مع ان ابن خالويه اشار الى بعضها كاشارته الى ان له كتابا في اسماء الله الحسنى ، وذلك في كتابه « اعراب ثلاثين سورة (2) » .

3 ـ التسمية بالحجة من عمل المتاخرين :

ولعل التسمية بالحجة جاءت متاخرة عن تاليف كتاب الحجة للفارسي وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لعضد الدولة باسم الحجة ، وانما قدمه بهذه العبارة :

« فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى ابن العباس ابن مجاهد (3) » .

وابن خالويه لم يشر في مقدمته الى هذه التسمية ، وان اشار الى ان كتابه في الاحتجاج . يقول : اني تدبرت قراءة الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تادية الرواية ... الى ان يقول : وانا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما اجتمع به اهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم (4) .

ولما كان كتاب ابي علي في الاحتجاج سمي بالحجة فيما بعد ذلك كذلك كانت انسب تسمية لكتاب ابن خالويه هي « الحجة » لانه في الاحتجاج من ناحية، ولان عبارته في المقدمة تستوجب هذه التسمية من ناحية اخرى .

4 ـ التنافس العلمي في عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتابه الحجة في القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافسا للفارسي وابن جني، فاذا كان الفارسي يؤلف الحجة فابن خالويه يؤلف الحجة واذا كان ابن جني يؤلف المحتسب في القراءات الشاذة ، فابن خالويه يؤلف كتابه في شواذ القراءات .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي في التاليف وفي موضوع بعينه في كثير من الاحيان .

والدليل على ذلك ان ابا بكر محمد بن الحسن مقسم الف كتاب السبعة بعللها الكبير ـ وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر ، كذلك الف محمد ابن الحسن الانصاري في نفس الموضوع حيث الف كتاب السبعة بعللها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط وكتاب السبعة الاصغر (5) .

واذا كان الفارسي يقدم كتاب الحجة لعضد الدولة حيث يقول في المقدمة : اما بعد ـ اطال الله بقاء مولانا الملك السيد الاجل المنصور ، ولي النعم عضد الدولة ، وتاج الملة ـ الى ان يقول : فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب ابي بكر احمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (6) .

اقول اذا كان الفارسي يقدم كتابه الحجة لعضد الدولة فابن خالويه يقدم له ايضا كتابا مجدولا في القراءات (7) .

5 ـ ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته الى ابن خالويه تشابه اسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى ، ويتمثل هذا التشابه في عدة ظواهر قلما تتخلف اجملها فيما ياتي :

---

1) انظر الحجة 3 .
2) انظر ص 18 ، ص 19 من هذه المقدمة رقم 462 ـ قراءات دار الكتب .
3) مقدمة الحجة للفارسي ، نسخة مصورة .
4) مقدمة الحجة لابن خالويه ص 1 .
5) الفهرست 32 ، 33 .
6) الحجة لابي علي الفارسي : ص 3 ـ نسخة مصورة رقم 462 ـ قراءات دار الكتب .
7) غاية النهاية 1 ـ 237 .

أ ــ الايجاز والاختصار فهو فى مقدمة الحجة يقـــول :

« وانا بعون الله ذاكر فى كتابي هذا ما احتج به اهل صناعة النحو لهم من معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم ... الى ان يقول: جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقـرب على مريـده وليسهل على مستفيده (1) .

وفى كتابه « اعراب ثلاثين سورة » يؤكد هـذه الظاهرة فيقول : « اني قد تحريت فى هذا الكتـــاب الاختصـار والايجاز وما وجدت اليه سبيلا ليعم الانتفاع به ، ويسـهل حفظه على من اراده (2) » .

ب ــ ومن الظواهر اذا تحدث عن مسالة ، وحرر القول فيها ثم عرضت مسالة اخرى تشبهها لا يعيد القول فيها وانما يحيل اليه ، وهذه الظاهـــرة واضحة فى الحجة وفى كتابـــه القراءات المخطـوط بالجامعة العربية ، وفى اعراب ثلاثين سورة .

ج ــ الاكثار فى هذه الكتب من النقل عن ابى مجاهد وابن الانباري ، وغيرهما من الاعـــلام الذين سبقـــوه .

6 ــ ومن ادلة التوثيق أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا اسبق منه زمنا مما يـدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه .

7 ــ ومن الادلة تقارب بعض النصـــوص فى مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجـــة ، ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا باسلوبها وكلماتها فى هذه المؤلفات هي بعينها فى كتاب الحجة ، واليـــك الدليـــل :

من كتاب القراءات :

1 ــ ففي كتاب القراءات المخطوط بالجامعـــة العربية رقم 52 قراءات والمنسوب الى ابن خالويه ورد مـا نصـــه :

« اذهبتم طيباتكم (3) » قرا ابن عامر الاذهبتـم بهمزتين الاولى الف توبيخ بلفظ الاستفهام ، ولا يكون فى القرآن استفهام ، لان الاستفهام استعلام ما لا يعلم والله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها ، فاذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو من ان يكون توبيخا او تقريرا او تعجبا او تسوية ، او ايجابا او امرا .

فالتوبيخ : الاذهبتم ؟ والتقرير الانت قلت للناس ؟ والتعجيب ما القارعة ؟ ما الحاقة ؟ ، وكيف تفكرون ؟، والتسوية: سواء عليهم الانذرتهم؟ ، والايجاب : اتجعل فيها من يفسد فيها ؟ ، والامر : اأسلمتم معنـــاه : اسلمـــوا (4) .

وهذا النص مذكور فى الحجة على النحو التالي:

اذهبتم طيباتكم :

« وكل لفظ استفهام ورد فى كتاب الله عز وجل فلا يخلو من احد ستة اوجه ، اما ان يكون توبيخا أو تقريرا أو تعجبا أو تسوية او ايجابا او امرا ، فامـــا استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى فى القرآن لان المستفهم مستعلم ما ليس عنده ... والله عالم بالاشياء قبل كونهـــا .

فالتوبيخ الاذهبتـم ، والتقريـر : الانت قلت للناس والتعجب : كيف تكفرون بالله ، والتسويـة : سواء عليهم الانذرتهم ــ والايجاب : اتجعل فيها مـن يفسد فيها .

والامر : اأسلمتم ، فعلى هذا يجري ما فى كتاب الله فاعرف مواضعه (5) » .

2 ــ فى ايام نحسات (6)

قرا ابن كثير ونافع وابو عمر : نحسـات باسكان الحاء ، « وشاهدهم فى يوم نحس (7) » اي فى يـوم شؤم وبلاء . ويجوز ان يكون اراد : ونحسات مثـل فخذات ، فاسكنوا تخفيفا ، وقرا الباقـون بكسـر

---

1) الحجـــة 1 .
2) اعراب ثلاثين سورة 14 .
3) الاحقـــاف 20 .
4) القراءات نسخة مصورة ميكروفيلم رقم 52 ، قراءات ــ الجامعة العربية .
5) الحجـــة ــ 197 .
6) فصلـــت 16 .
7) القمـــر 19 .

الحاء ، وحجتهم ان النحسات صفة تقول العرب : يوم نحس مثل رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهـــم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحـــس

(كتاب القراءات رقم 52 بالجامعة العربية) .

وقال فى الحجة :

فى ايام نحسات : يقرأ باسكان الحاء وكسرها ، فالحجة لمن اسكن انه اراد نحس ، ودليله قوله تعالى: « فى يوم نحس مستمر » ويحتمل ان يكون اراد كسر الحاء فاسكنها تخفيفا والحجة لمن كسر انه جعله جمعا للصفة من قول العرب : هذا يوم نحس وزن هذا رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلغ جذاما ولخمـا ان اخوتهـــم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحس (1)

وبمقارنة هذه النصوص نتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتـاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد .

والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية . وذلك لان القراءات المصورة بمعهد المخطوطات بالجامعـة العربية رقم 52 ــ قراءات ــ منهج ابن خالويه فيـه يقوم على الاستطراد والاطناب ، فهو يسنـد القراءة لاصحابها فى سلسلة طويلة ، وهو يتحدث عن تفسير معاني الآيات ، واسباب نزولها ، ويحشـد قصصـا عديدة فى مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها، والاحتجاج بها الا جزءا من هذا المنهج ، فكتابـه فى حقيقة أمره كتاب تفسير لا قراءات ، شانه شان كتب التفسير التي تتعرض لهذه الاغراض جميعا .

اما كتاب الحجة فهو كتاب موقوف على القراءات وحدها فى مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسيـر المعنى الا فى القليل النادر الذي يعد على الاصابع .

ولعله من الجائز ان يكون كتاب القراءات اسبق فى التاليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب وهذبه ، وجعله مقصورا على القراءات وحدها،وظاهرة التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق برجستراسر يقول عنه : « وكان من عادة ابن خالويه ان يهذب مصنفات مشايخه (2) » وازيـد فاقـول : ومصنفاته ايضا ، اليس كتاب « مختصر فى شـواذ القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر هو تلخيص كتابه البديع فى القراءات الشاذة . ؟

من كتاب اعراب ثلاثين سورة :

1 ــ « مالك يوم الدين (3) » قال اهل النحو : ان ملكا امدح من مالك ، وذلك ان المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا (4) .

وقال فى الحجة :

مالك يوم الدين : والحجة لمن طرحهـا (أي الالف) ان الملك اخص من المالك وامدح ، لانه قـد يكون المالك غير الملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (5).

2 ــ وما ادراك ما الطارق (6)

قال فى اعراب ثلاثين سورة ، حدثني ابن مجاهد عن السمرى عن الفراء قال : كل ما فى كتـاب الله : وما ادراك فقد ادراه وما يدريك فما ادراه بعد (7) .

وقال فى الحجة : وما كان فى كتاب الله تعالى من قوله : وما ادراك فقد ادراه ، وما كان فيـه من قوله : وما يدريك ، فلم يدره بعد (8) .

من كتاب ليس :

قال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب فعـل يفعل بكسر العين فى الماضي والمستقبل من الصحيح

---

1) الحجـــة 188 .
2) مختصر فى شواذ القراءات تحقيق المستشرق برجستراسر (المقدمة) .
3) الفاتحـــة ــ 4 .
4) اعراب ثلاثين سورة ــ 27 .
5) الحجـــة ــ 2 .
6) الطـــارق ــ 2
7) اعراب ثلاثين سورة ــ 40 .
8) الحجـــة ــ 237 .

الا ثلاثة : نعم ينعم ، يبس ييبس ، يئس ييئس ، وقد يجوز فيهن الفتح وسمع (1) .

وقال في الحجة :

قوله تعالى : تحسبهم (2) يقرأ بكسر السين وفتحها ، والحجة لمن كسر ان العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع اربعة افعال : يحسب ، وينعم ، ويبس ، ويئس حتى صار الكسر فيهن افصح (3) من كتاب الريح :

قال ابن خالويه :

وامهات الريح اربعة : الشمال وهي للروح والنسيم عند العرب ، والجنوب للامطار والانداء ـ والصبا لالقاح الاشجار ، والدبور لعذاب والبلاء ، نعوذ بالله منها ، فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول : « اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا (4) .

وقال في الحجة : وتصريف الرياح (5) ... فالحجة لمن افرد انه جعلها عذابا ، واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا لا ريحا.

ثم قال والارواح اربعة اسست اسماؤها على الكعبة ، فما استقبلها منها فهي الصبا والقبول وما جاء عن يمينها في الجنوب ، وما جاء عن شمالها في الشمال وما جاء من مؤخرها فهي الدبور وهي روح العذاب نعوذ بالله منها (6) .

8 ـ قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 هـ وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما على حين نجد كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة 600 هـ بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن الحسين (7) .

وكتاب اعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار الكتب عام 1941 م اعتمدت فيه على النسخة التي ضمتها مكتبة الشنقيطي رقم 7 ـ تفسير دار الكتب ، وقد تمت كتابة النسخة في العشر الاولى من شعبان الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وملك بمدينة صنعاء المحروسة (8) .

وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال النسخ من الكتب الاخرى التي وصلت الينا امثال كتاب القراءات ، واعراب ثلاثين سورة . نعم ان الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة طلعت رقم 134 قراءات ، وقد اشار اليها بروكلمان في كتابه : تاريخ الادب العربي (9) وقد حاولت العثور على نسخة اخرى لاقابلها بها حتى يتيسر التحقيق ، وينكشف الغموض ، ولكن لم يتيسر لي ذلك على الرغم من اطلاعي على فهارس المكتبات العربية والافرنجية ، لهذا كانت هذه النسخة هي عمدتي في التحقيق ، وقد يسرت لي مصاعبها واستقام نصها بفضل الله وعونه ، والهامه وتوفيقه . هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا يغض من قدره ، ولا ينزل من مكانته ، فتراثنا العربي ذهب معظمه بسبب الاحداث الجسام ، والفتن التي حلت بالعالم الاسلامي والعربي في العصور المختلفة .

ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصحف الاخيرة من الحجة ، وهي : « قوبل وصحح باصله المكتوب منه » ولكن ذهب هذا الاصل ؟

اقول : ذهب هذا الاصل ، لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدها ليست غريبة على تراثنا العربي ، فهذا هو ابو علي الفارسي ذكر « ان بعض اخوانه سأله

---

1) ليس ـ 4 .
2) البقرة ـ 273 .
3) الحجة ـ 29 .
4) كتاب الريح ـ 2 .
5) البقرة ـ 164 .
6) الحجة ـ 21 .
7) فهرس مخطوطات الجامعة العربية ـ 12 وفهرس المخطوطات الاولى 1 ـ س ـ 276 .
8) فهرس دار الكتب .
9) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ج 2 ـ 140 .

بفارس املاء شيء من ذلك فاملى عليه صدرا كبيرا ، وتقصى القول فيه ، وانه هلك فى جملة ما فقده ، واصيب من كتبه .

قال عثمان بن جنى . وان وجدت نسخة ، وامكن الوقت عملت باذن الله كتابا اذكر فيه جميع المعتلات فى كلام العرب (1) » ، ولم يكتف ابن جنى بما حدث من شيخه من ضياع كتابه الذي املاه بفارس ، بل بين فى وضوح اكثر « انه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين ، قال : وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على اصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئا البتة الا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن (2) » .

اذن فظاهرة ضياع الكتب ظاهرة سائدة حتى فى عصر المؤلفين انفسهم ، وقد بلى بهذه الظاهرة المجتمع الاسلامي منذ ان اصبحت الدولة دويلات ، وزاد خطرها اكثر حينما زحف التتار على بغداد ، فالتهم معظم تراث الاجداد ، وماني اذهب بعيدا وهذا السيوطي جماعة الكتب الذي لا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكرها ، والتعريف بها يقول فى كتاب « ليس » لابن خالويه : « انه كتاب حافل فى ثلاث مجلدات ضخمات» وقد طالعته قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الان (3) .

مع ان كتاب « ليس » المطبوع بمطبعة السعادة بتصحيح أحمد بن الشنقيطي ليست فيه هذه الضخامة التي ذكرها السيوطي مما يدل على ان الكتاب ضاع معظمه .

على اية حال نحن نحمد الله اذ حفظ لنا كتاب الحجة من الفه الى يائه لم يضع منه شيء ونحمده اذ وفقنا الى تحقيقه ويسر لنا امره ، حتى جاء ، وقد رضيت عنه نفسي كل الرضا واسأل الله ان يتمم النفع به .

مقارنة بين حجة ابن علي وحجة ابن خالويه :

قدمت ان ابن مجاهد هو اول من سبع السبعة ، وانه بهذا العمل الذى انفرد به استطاع ان يفتح باب الاحتجاج بالقراءات فى مجالي اللغة والنحو ، فتسابق تلاميذه ومعاصروه فى التاليف فى هذا الفن .

واول من شرع فى هذا من معاصريه « ابو بكر محمد بن السرى شرع فى تفسير صدر من ذلك فى كتاب كان ابتدأ باملائه ولكنه لم يتمه (4) » .

وامكن لابى علي الفارسي ان ينجح فيما قصر فيه محمد بن السرى فالف كتابه الحجة فى الاحتجاج بالقراءات .

ولما كان كتاب الحجة بين ايدينا مخطوطا حيث تضم دار الكتب والمكتبة الازهرية نسخا منه ، ومطبوعا منه الجزء الاول الذي قام بتحقيقه أستاذنا علي النجدي والمرحوم الدكتور النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي وهم فى هذا التحقيق قدموا جهدا جبارا يتناسب مع هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لابن خالويه نتبين اختلاف المنهجين ، وتباين الطريقين : فابو علي فى حجته يغوص الى الاعماق ، فمن لم يكن ذا مقدرة على الغوص لا يستطيع أن يتابع الفارسي ، ولا يستطيع ان يصل الى الجوهر المنشود ، فكثرة الاستطرادات ، وضخامة التعليلات قد تحول بينه وبين ما يريد .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتابا لا يفهمه الا القلة . ولا تهضمه الا فئة خاصة. تسلحت بما تسلح به ابو علي من عقلية منطقية ، تؤمن بالقياس، وتجري وراء العلة . وحتى فى عصره عصر الازدهار الفكري عصر المناظرات التي كانت تتعدد حلقاتها فى بلاط الامراء لم يلق هذا الكتاب قبولا حسنا ولم يصادف فى نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد المبذول فيه .

ويكفينا فى هذا المقام شهادة تلميذه ابن جنى فى ذلك وهي شهادة على النفس لان ابا علي ابن جنى بمثابة الروح من الجسد .

---

1) معجم الادباء : 7 ـ 256 .
2) معجم الادباء : 7 ـ 256 .
3) المزهر 2 ـ 3 .
4) انظر مقدمة الحجة ـ رقم 462 ، قراءات نسخة مصورة بدار الكتب ، وانظر مقدمة المحتسب لابن جنى مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

يقول ابن جني في كتابه المحتسب ما نصه « فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفو عنه كثير من العلمـــاء (1) » .

ويقول في موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى في سورة الانعام « تماما على الذي أحسن (2) ».

« وقد كان شيخنا ابو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فاغمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية فضلا عن القراءة ، واجفاهم عنه (3) ».

واما كتاب الحجة لابن خالويه ، فان ابن خالويه في حجته نهج نهجا آخر ، نهجا يقـوم على الروايـة والسماع ، فليست اللغة في نظره تؤخذ من المنطق ، او تقوم على الاقيسة كما كان يفعل ابو علي في الحجة.

ولعل السر في تاليف الحجـة لابن خالويه انـه احس في مرارة أن كتاب ابي علي ، لا ينتفع به الخاصة فضلا عن العامة فحفزه ذلـك الى تاليـف كتابـه في اسلوب سهل ممتع وفي عرض يشـرق عليـك بهاؤه ويستولي على نفسك جماله ، وقد جعـل الاختصـار رائده ليتحقق الهدف الاكبر من تاليفه ، وهو انتفاع الناس به او كما يقول : « قاصد قصـد الابانـة ، في اقتصار من غير اطالة ولا اكثار » .. جامعا ذلك بلفظ بين جزل ومقال واضح سهل ليقـرب على مريـده ، وليسهل على مستفيده (4) .

قيمة كتاب الحجة لابن خالويه في عصرنا الحاضر :

ونحن نعيش في عصر السرعة ، ومن متطلبات السرعة الصراحة والوضوح ، صراحـة الافكـار ، ووضوح المعاني وتحديد الالفـاظ ، والوصـول الى الهدف من اقرب طريق وايسر سبيل .

وكل ذلك تجده في الحجة متمثلا في كل صفحة من صفحاته بل في كل سطر من سطوره .

ولا اخفي سرا اذا قلت : ان هذا المنهـج الذي التزمه ابن خالويه اعجبني وسحرني ، اعجبني لانـي استطعت ان اقف على كل مسائل الاحتجاج في وقت قصير ، وسحرني لانه يقدم لي خلاصة مهذبة واضحة المعالم ، بينة السمات في قراءات القرآن الكريم ، والاحتجاج بها .

فنحن اذن في اشد الحاجة الى هـذا الكتـاب للوقوف على القراءات القرآنية في ضوء النحو واللغة من ناحية ولأنه اقدم كتاب ظهر في القراءات السبع هو وحجة الفارسي من الناحية الاخرى .

وصف كتاب الحجة لابن خالويه :

في الصفحة الاولى من الحجة تجد ما يأتي :

كتاب الحجة في قراءات الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقـل ، واتقـان الحفظ ، المامونين في الرواية للعلامة المحقق امـام النحو واللغة ابن عبد الله الحسين بن خالويـه رحمه الله ، وحياه من الخير ما يتوالى . قـراءات 134 ـ طلعـــت .

وفي هامش الصفحة تجد تملكا لهذه النسخة ، فهي قد دخلت في نوبة العبد الفقير الى الله ابراهيم السدى المصري سنة 1191 هـ ، وكتب انه اطلع على النسخة فرآها ومن غير شك ، فان هذه التملكـات العديدة تدل على قيمة هذه النسخة ، وتسابق العلماء في اقتنائها الى ان وصلت الى مكتبة طلعت .

وفي آخر صفحة من الكتاب ذيلت بهذه العبارة:

وقع الفراغ من نسخة كله في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

وتحت هذا التذييل تذييل آخر ، وهو :

« قوبل وصحح بأصله المكتوب منه »

ومن ناحية الخط فانه كتب بخط النسخ الذي كانت تسود الكتابة به في هذا العصر ، وقد وقفت على ذلك بعد مقارنة قمت بها في مخطوطات القرن الخامس الهجري . وقد نسخت من هذه النسخـة القديمـة نسخة اخرى بقلم معتاد تمت كتابتها في 28 شـوال سنة 1355 هـ ، وهذه النسخة مخطوط رقم 219523

---

1) انظر مقدمة الحجة ، وانظر مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
2) الانعـــــام ـ 154 .
3) مقدمة المحتسب لابن جني من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
4) مقدمـة كتـاب الحجـة ـ 1 .

دار الكتب (1) ولم اعتمد عليها ، بل اعتمدت على الاصل الذي كتبت منه وهو النسخة التي كتبت في 496 هـ .

منهج ابن خالويه في الحجة وآراؤه :

1 ـ اعتمد في حجته على القراءات المشهورة ، تاركا الروايات الشاذة المنكورة (2) .

2 ـ الايجاز والاختصار حتىّ يفهم القارىء او الدارس المراد من غير استطراد ممل ، أو أسلوب معقد ، يقول في المقدمة : « وقاصد قصد الابانة في اختصار ، من غير اطالة ولا اكثار » .

3 ـ عرض القراءات من غير سند الرواية ، لان هدفه الايجاز ولا يلجأ الى نسبة القراءات الى اصحابها الا اذا دعت الضرورة لذلك ، ليتبين مكانة من قرأ بها في حقل الدراسات القرآنية .

4 ـ واذا عرض لمسألة ، وبين وجه التعليل والحجة فيها ثم تكرر نظيرها ، لا يعيد القول فيها ، وانما يحيلك الى الموضع حرصا على الوقت ، وايمانا بالايجاز .

5 ـ اللغة في نظره لا تقاس ، وتؤخذ سماعا يقول في قوله تعالى « المتعال (3) » : والدليل على ان اللغة لا تقاس ، وانما تؤخذ سماعا قولهم : الله متعال من تعالى ، ولا يقال : متبارك من تبارك (4) .

وفي قوله تعالى « في آذانهم من الصواعق» (5) يقول : فاما اماالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى « في آذانهم من الصواعق» فان كان اماله سماعا من العرب، فالسؤال عنه ويل (6) .

6 ـ ومن منهجه ان لغة العرب ، وان اختلفت حجة يؤخذ بها ويعتمد عليها ، يقول في قوله تعالى : «وان كنتم للرؤيا تعبرون (7)» وري عن الكسائي انه أمال هذه وفتح قوله لا تقصص رؤياك (8) .

فان كان فعل ذلك ليفرق بين النصب والخفض فقد وهم ، وان كان اراد الدلالة على جواز اللغتين فقد أصاب (9) .

7 ـ ويطمئن الى اهل قول اللغة لانهم أصحاب رواية وسماع يقول في قوله تعالى « ولأنك في ضيق (10) » يقرأ بفتح الضاد وكسرها ، وقد ذكرت حجته آنفا ، وقلنا فيه ما قاله اهل اللغة (11).

8 ـ ويميل الى لغة اهل الحجاز :

يقول في قوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس (12)» يقرأ بكسر القاف وضمها ، وهما لغتان فصيحتان ، والضم اكثر لانه لغة اهل الحجاز (13) .

9 ـ يدافع عن القراءات السبع ، ويتهم من يصف حمزة بانه لا يعرف العربية ، واتساع كلام العرب (14) .

---

1) انظر : فهرس المخطوطات : القسم الاول أ ـ س ص 276 .
2) مقدمة كتاب الحجة ـ 1 .
3) الرعد ـ 9
4) الحجة ـ 99 .
5) البقرة ـ 19 .
6) الحجة ـ 7 .
7) يوسف ـ 43 .
8) يوسف ـ 5 .
9) الحجة ـ 94 .
10) النمل ـ 70 .
11) الحجة ـ 154 .
12) الاسراء ـ 35 .
13) الحجة ـ 111 .
14) انظر : ص 172 عند قوله تعالى : « ومكر السيء » .

10 ــ ومن منهجه ان القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة والفاظ الامثال ، فقد انكر الخفض على الجوار في قوله تعالى : « وارجلكم (1) » .

11 ــ لا يرجع الى تفسير المعنى الا في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى : « جعلا له شركاء فيما آتاهما (2) » .

12 ــ من النادر تعرضه لاعراب الشواهد التي يحتج بها ، ولكنه في بيت :

يا رب سار بات لن يؤسدا
تحت ذراع العيس او كف اليدا

فانه يتعرض لاعراب مواضع من البيت ، مفسرا بعض كلماته (3) .

13 ــ يعتد برسم المصحف : انظر ص 8 من الحجة عند قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير (4) » .

وقوله تعالى : « ثم اتخذتم (5) » حيث ذكر ان من اظهر اتى بالكلمة على اصلها ، واغتنم الثواب في كل حرف منها (6) .

14 ــ وابن خالويه يستشهد بالحديث الشريف في عدة مواطن من كتابه الحجة ، انظر مثلا ص 14 ، ص 18 ، ص 38 ، ص 58 .

15 ــ وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة ، لا يتعصب للبصريين ولا للكوفيين ، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجح بأدلة يراها وقد يختلف عنها بآراء متحررة .

وظهور هذه النزعة التجديدية في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه « في حلب اخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجا جديدا ، لانه لم يتبع طريقة الكوفيين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان احلى واحسن (7) » .

قراءات لم ترد الا عن طريقه :

وذلك في قوله تعالى : «فله عشر امثالها (8)»

قال : يقرا بالتنوين ، ونصب الامثال ، وبطرحه والخفض فالحجة لمن نصب ان التنوين يمنع من الاضافة فنصبت على خلاف المضاف ، والحجة لمن اضاف انه اراد فله عشر حسنات ، فاقام الامثال مقام الحسنات (9) .

وليس في كتب القراءات التي بين ايدينا الا حذف التنوين وجر اللام بالاضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الامصار ما عدا الحسن البصري ، فانه كان يقرا عشر بالتنوين ، وامثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير ان اجماع قراء الامصار على خلافها .

اما رواية النصب ، فلم اجدها الا عند ابن خالويه.

ينسب الى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين ايدينا .

يقول في قوله تعالى : (بنصب (10) اجمع القراء على ضم النون الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لغتان(11)كذلك ينسب اليه قراءة اخرى لا نراها

---

1) المائدة 6 ، انظر : ص 49 من الحجة .
2) الاعراف 190 ، وانظر : ص 76 من الحجة .
3) الحجة ــ 102 .
4) البقرة ــ 20 .
5) البقرة ــ 51 .
6) الحجة ــ 11 .
7) مقدمة مختصرة في شواذ القرآن 6 .
8) الانعام ــ 160 .
9) الحجة ــ 66 .
10) سورة ص 41 .
11) الحجة ــ 179 .

في المصحف الذي بين ايدينا عند قوله تعالى « وعزني في الخطاب (1) » .

قال : اسكان الياء اجماع الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح لقلة الاسم ، وكذلك قوله وعزني بالتشديد اجماع الا ما رواه ايضا عنه بالتشديد واثبات الالف وهما لغتان (2) .

— ◆ —

نقد منهجه :

وابن خالويه لم يلتزم منهجه فقد خرج عنه في عدة مواضع :

1 — مع الامثلة المتعددة التي تدل على اعتداده برسم المصحف فانه قد خرج عن هذه القاعدة في قوله تعالى : « بالغداة والعشي (3) » قال : يقرأ بالالف وبالواو في موضع الالف مع اسكان الدال .. ثم قال .. « والحجة لمن قرأ بالواو انه اتبع الخط لانها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة لانها انما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة (4) .

وفي هذا مخالفة صريحة للمنهج مع ان هذه القراءة قراءة ابن عامر من القراء السبعة .

2 — ومع احترامه للسماع وايمانه بالرواية فانه لا يستطيع ان يتخلص من النزعة النحوية التي تؤمن بالعلة وتقدس المنطق .

يقول في قوله تعالى : « وكل أتوه (5) » : فان قيل : لم اختص ما يعقل بجمع السلامة دون ما لا يعقل فقل : لفضيلة من يعقل على ما لا يعقل ، فضل في اللفظ بهذا الجمع كما فضل بالاسماء الاعلام في المعنى، وحمل ما لا يعقل في الجمع على مؤنث ما يعقل ، لان المؤنث العاقل فرع على المذكر ، والمؤنث مما لا يعقل فرع على المؤنث العاقل فتجانسا بالفرعية ، فاجتمعا في لفظ الجمع بالالف والتاء (6) .

وبعد ، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وعشت في مجاله اجمل الساعات ، تغمرني نشوة روحية ، لانها دراسة في رحاب القرآن فان جاء هذا العمل وافيا بالغرض ، محققا للهدف فبتوفيق الله والهامه ، وان جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ، والمجتهد ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله أجر .

ارجو من الله ان ينفع به ، وان ينير الطريق امام الدارسين في القراءات ، والنحو ، واللغة ، ليسهموا في استمرار هذه الدراسات ونشرها حتى لا يبتلعها سيل المادية الجارف في عصرنا الحاضر . انه نعم المولى ونعم النصير .

---

1) ص 23 .
2) الحجة ـ 179 .
3) الانعام ـ 52 .
4) الحجة ـ 57 .
5) النمل ـ 87 .
6) الحجة ـ 155 .